

سماحة الإسلام

في ضوء القرآن الكريم
والسنة الصحيحة

سليم الهلالي

سماحة الإسلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة للمكتبة الإسلامية

الطبعة الثالثة

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

المكتبة الإسلامية
ص.ب. (١١٣) الجبهة - هاتف: ٨٤٢٨٨٧ - عمان - الأردن

دار ابن خزيمة للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ٦٣٦٦ / ١٤ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

مِنْ مَشْكَاتِ النَّبَوَّةِ

قال ﷺ: «أَفْضَلُ الْإِيمَانِ الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ».

«صحيح الجامع الصغير» (١١٠٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ
لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بعد :

فَإِنَّ السَّمَاخَةَ فِي الْإِسْلَامِ تَتَجَلَّى فِي كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أَوَامِرِهِ
وَنَوَاهِيهِ: دَقِيقَهَا وَجَلِيلُهَا، فَكَانَتْ بِحَقِّ بَعَثِ جَدِيدٍ لِلْقِيَمِ فِي
جَوْهَرِهَا، وَكُلِّ مَسَالِكِهَا، وَدُرُوبِهَا، وَنُظُمِهَا.

لم تكن السَّمَاخَةُ فِي الْإِسْلَامِ يَوْمًا طِلَاءَ ذَهَبٍ لِيَتَهَافَتَ
النَّاسُ عَلَى سَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ
يَجِدْهُ شَيْئًا، بَلْ إِنَّ السَّمَاخَةَ فِي الْإِسْلَامِ أَكْبَرُ مِنْ مَفْهُومِ
الْإِنْسَانِيَةِ الَّذِي رَفَعَتْهُ مَوْسَسَاتٌ وَجَمْعِيَّاتٌ جَاهِلِيَّةٌ مُعَاَصِرَةٌ

وخذعت ببهرج القول وزخرفته شعوباً وقبائل ، لأنَّ السَّماحةَ في
الإسلامِ تَسَعُّ حَتَّى تَشْمَلَ الحَيَوانَ والنَّباتَ ، وتُقرِّرُ أَنَّ عَلاقَةَ
المُسلِمِ بِغَيرِهِ مِنَ الخَلقِ المَودَّةُ والرَّحمةُ حَتَّى فِي القَتْلِ
والذَّبْحِ .

قال ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ
فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ وَلْيُجِدَّ أَحَدُكُمْ
شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ» أخرجه مسلم (١٩٥٥) وأصحاب السنن
وغيرهم .

والسَّماحةُ في الإسلامِ أعمَقُ مِنْ مَفْهُومِ الإنسانيَّةِ
المُعاصرةِ لأنَّها تَتجاوَزُ المَظاهِرَ والمَمرُئِيَّاتِ إِلَى اللَّبابِ وَسَرائِرِ
النُّفوسِ . والسَّماحةُ في الإسلامِ أَخْلَدُ مِنْ مَفْهُومِ الإنسانيَّةِ
المُعاصرةِ التي تَنتهِي بِانقِضاءِ الجِنسِ البَشَريِّ عَلَى هَذِهِ
الأَرْضِ ، بَيَدَ أَنَّ السَّماحةَ تَصِلُ المُسلِمَ بِالآخِرَةِ حَيْثُ يَخْلُدُ
بِرَّحمةٍ مِنْ رَبِّهِ فِي جَنَّاتِ النَّعيمِ ، وَيَرِثُ الفِرْدَوْسَ الأَعلى بِقَدَرِ
سِهامِهِ فِي السَّماحةِ .

وعجبي لا يكاد ينقضي من كُتابِ إسلاميين سَمَّوا

السَّامَحَةُ فِي الْإِسْلَامِ بِـ «إِنْسَانِيَّةِ الْإِسْلَامِ» يَضَاهَتُونَ قَوْلَ
الَّذِينَ كَفَرُوا . . .

وهؤلاء القوم عندما فعلوا ذلك وقعوا في أخطاء بعضها
فوق بعض .

أولها: أنهم استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير حيث
ضحوا إلى الاصطلاح البشري الحادث وضربوا صفحاً عن
التعبير الإسلامي الذي شحنت به الآيات القرآنية والأحاديث
النبوية الصحيحة .

وآخرها: أنهم ضيَّقُوا واسعاً فإن مفهوم السَّامَحَةِ فِي
الْإِسْلَامِ أوسع وأرحب من دائرة الإنسانية كما رأيت آنفاً .

وَهَذِهِ الرِّسَالَةُ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْكَ أَخِي الْمُسْلِمُ تَنْقُلُكَ إِلَى
رِحَابِ السَّامَحَةِ فِي الْإِسْلَامِ لِتَتَقَلَّبَ فِي ظِلَالِهَا، وَتَجْنِي يَانِعَ
ثَمَارِهَا لِيَعْمَ الْخَيْرُ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، وَتَقْوِي أَوَاصِرَ الْمَحَبَّةِ وَاللِّينِ
بَيْنَ دُعَاةِ الْإِسْلَامِ؛ فَتَتَكَافَأَ دِمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ،
وَيَكُونُوا يَدًا عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ وَيَأْخُذُوا بِيَدِ الْبَشَرِيَّةِ الْحَائِرَةِ فِي
دُرُوبِ الضَّلَالِ إِلَى سِوَاءِ الصِّرَاطِ .

وَإِنِّي لأَرْجُو اللَّهَ أَنْ أَكُونَ قَدْ سَهَّلْتُ مَفْهُومَ السَّمَاخَةِ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ وَهَوَّنْتُ عَلَيْهِمْ وَيَسَّرْتُ مَا اسْتَطَعْتُ، لَعَلَّ اللَّهَ
يَتَجَاوَزُ عَنِّي وَعَنْ إِخْوَانِي فِي اللَّهِ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا
مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ .

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ

وَكَتَبَهُ أَبُو أُسَامَةَ سَلِيمُ بْنُ عِيدِ الْهَلَالِيِّ

يَوْمَ الْجُمُعَةِ لثَمَانِ لَيَالٍ خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ شَوَّالِ الْمُحَرَّمِ
سَنَةِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَسَبْعٍ بَعْدَ هِجْرَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ

ما هي السَّماحة؟

هي :

- طيب في النفس عن كرم وسخاء .
- انشراح في الصدر عن نقاء وتقى .
- لين في الجانب عن سهولة ويسر .
- طلاقة في الوجه عن بشاشة .
- ذلة على المؤمنين دون هوان .
- مساهلة في التعامل دون غبن وغرر .
- تيسير في الدعوة إلى الله دون مجاملة ومداهنة .
- انقياد لدين الله سبحانه وتعالى دون حرج وتوان .

وهي :

- لبَّابُ الإسلام .
- أفضل الإيمان .
- ذروة سنام الأخلاق .

قال رسول الله ﷺ: «خير الناس ذو القلب المحموم،
واللسان الصادق، قيل: ما القلب المحموم؟ قال: هو التقي
النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد. قيل: ممن على
أثره؟ قال: الذي يشنأ الدنيا، ويحب الآخرة. قيل: فمن على
أثره؟ قال: مؤمن في خلق حسن»^(١).



(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته: (٣٢٦٦).

منزلة السَّماحة في الإسلام

٢

١ - الإسلام دين السَّماحة واليسر :

قال سبحانه وتعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة : ١٨٥].

وأراد الله سبحانه أن يظهر هذه الأمة الإسلامية المرحومة من الإصر والأغلال فما جعل عليها في الدين من حرج .

قال جلَّ ثناؤه : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج : ٧٨].

٢ - بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَنِيفِيَةِ السَّمْحَةِ :

عن عائشة رضي الله عنها قالت :

دعاني رسول الله ﷺ والحبشة يلعبون بحرابهم في المسجد في يوم عيد، فقال لي : «يا حميراء أتحبين أن تنظري

إليهم؟ فقلت: نعم، فأقامني وراءه فطأطأ لي منكبيه لأنظر إليهم فوضعت ذقني على عاتقه وأسندت وجهي إلى خده فنظرت من فوق منكبيه وهو يقول: «دونكم يا بني أرفدة»، فجعل يقول: «يا عائشة ما شبعت؟» فأقول: لا، لأنظر منزلي عنده، حتى شبعت. قال: «حسبك؟» قلت: نعم، قال: «فاذهبي». قالت: فطلع عمر، ففترق الناس عنها والصبيان، فقال النبي ﷺ: «رأيت شياطين الإنس والجن فروا من عمر».

قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ يومئذ: «لتعلم يهود أن في ديننا فسحة أرسلت بالحنيفية السمحة»^(١).

٣ - أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة:

أحكام الإسلام مبنية على السهولة واليسر ورفع الحرج، وخصال الدين كلها محبوبة لكن ما كان سمحاً أي سهلاً فهو أحب إلى الله، لذلك لا ينبغي التشديد في الله والتعسير على

(١) متفق عليه دون موضع الشاهد الذي أخرجه أحمد: (١١٦/٦) و(٢٣٣) والحميدي: (٢٥٤) بإسناد صحيح.

عباد الله فما شأَّ الدين أحد إلا غلبه وانظر إلى بني إسرائيل لما
شددوا شدد الله عليهم ولو سامحوا سومحوا؛ تأمل قصة
البقرة.

عن ابن عباس رضي الله عنه:

سئل النبي ﷺ أي الأديان أحب إلى الله عز وجل؟ قال:
«الحنيفية السمحة»^(١).

لذلك روى ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن رجل
شرب لبناً محضاً أيتوضأ؟ قال: «اسمح يسمع لك»^(٢) أي
سَهْلٌ يُسَهِّلُ الله لك وَعَلَيْكَ^(٣).

(١) أخرجه البخاري تعليقاً (٩٣/١ - الفتح) ووصلة في «الأدب المفرد»
(ص: ٤٤) وأحمد: (٢٣٦/١) وحسنه الحافظ في «الفتح»
(٩٤/١)، وصححه أحمد شاكر في «التعليق على المسند»
(٢١٠٨)، وتعقبهما شيخنا في «سلسلة الأحاديث الصحيحة»
(٨٨١) وحسنه بشواهده.

(٢) هذا الموضع روي مرفوعاً من حديث ابن عباس أخرجه عبد الله بن
أحمد في زوائده على المسند: (٢٤٨/١) وجادة.

(٣) لسان العرب: (٤٨٩/٢).

٤ - السَّامَاحَةُ أَفْضَلُ الْإِيمَانِ :

قال ﷺ : «أفضل الإيمان الصبر والسَّامَاحَةُ»^(١).

٥ - السَّامَاحَةُ مِنْ أَهْوَنِ الْعَمَلِ وَأَفْضَلِهِ :

أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله أي العمل أفضل؟ قال: «الإيمان بالله وتصديق به وجهاد في سبيله»، قال: أريد أهون من ذلك يا رسول الله؟ قال: «السَّامَاحَةُ والصبر»، قال: أريد أهون من ذلك؟ قال: «لا تتهم الله تبارك وتعالى في شيء قضى لك به»^(٢).

٦ - نماذج من سَمَاحَةِ الْإِسْلَامِ :

(أ) من سَمَاحَةِ الْإِسْلَامِ أنه دين الله للناس كافة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]،

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته: (١١٠٨).

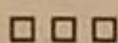
(٢) أخرجه أحمد: (٣١٩/٥) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، و (٣٨٥/٤) من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه، قال: ما الإيمان قال: «الصبر والسَّامَاحَةُ». وله شاهد من حديث جابر رضي الله عنه، فثبت الحديث بهذه الطرق والشواهد.

وقال جل ثناؤه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾
[سبأ: ٢٨].

(ب) سماحة الإسلام نبذ العصبية والقومية:

لقد تنزه الإسلام عن قيم الجاهلية وحطامها فمحي آثار
العصبية التي هي مصدر الأحكام المبنية على الأهواء، ولم
يرض بأباطيل العصبية والقومية التي تجعل الفضل والحق للדם
والعصبة والتربة، وهذا الطغيان حق في شرعة العصبية
الجاهلية، ولذلك امتهنها الإسلام لأنها تخنق كرامة الإنسان.
وبذلك يكون الإسلام قد أحيا القلوب وعمرها بالإيمان
الحق ودفعها إلى الخير والرشد والعدل، ومحا فوارق الجنس
واللغة والطبقة، وامتياز النسب والمال، جاعلاً الفضل والكرم
كله للتقوى التي هي ينبوع السماحة وذروة سنامها، وملتقى
فضائلها ومزاياها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].



أبواب السَّماحة

أبواب السَّماحة كثيرة، وضروبها عديدة، وطرائقها شتى يصعب استقصاؤها على عجل وحسبك دليلاً، أن السَّماحة تشمل الإسلام عقيدة وعبادة وسلوكاً وتربية، أليس الإسلام هو الحنيفية السمحة؟!

ودونك بعض الأمثلة على السَّماحة:

١ - السَّماحة في البيع والشراء والقضاء:

قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [هود: ٨٥]، وقال جل جلاله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ١ - ٦].

وقال ﷺ: «غفر الله لرجل ممن كان قبلكم كان سهلاً إذا باع سهلاً إذا اشترى سهلاً إذا قضى»^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله يحب سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء»^(٢). وسمحاً أي سهلاً وهي صفة مشبهة تدل على الثبوت، فلذلك أعاد الرسول ﷺ أحوال البيع والشراء والقضاء. وهذا يدل على المساهلة في المعاملة، وترك المشاحة، وعدم المطل: أي إعطاء الناس حقوقهم بغير مهل.

ومن حسن القضاء أن من استقرض شيئاً فردّه أحسن أو أكثر من غير شرط كان محسناً ويحل ذلك للمقرض.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

(١) أخرجه الترمذي: (١٣٢٠) وأحمد: (٣٤٠/٣) من حديث جابر رضي الله عنه، وصححه شيخنا في «صحيح الجامع الصغير»: (٤٠٣٨).

(٢) أخرجه الترمذي: (١٣١٩)، والحاكم: (٥٦/٢) من طريقين عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه شيخنا في «صحيح الجامع»: (١٨٨٤).

كان لرجل على النبي ﷺ جملٌ سنٌّ من الإبل فجاءه
يتقاضاه، فقال: «اعطوه»، فطلبوا سنَّهُ فلم يجدوا له إلا سنّاً
فوقها، فقال: «اعطوه»، فقال: أوفيتني أوفى الله بك، قال
النبي ﷺ: «إن خياركم أحسنكم قضاءً»^(١).

٢ - السَّماحة في الدين والاقتضاء:

قال جل جلاله: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ
وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وقد حث الشارع الحكيم على إنظار المعسر، وجعل
لذلك خصائص عظيمة سيأتي بيانها إن شاء الله في باب
فضائل السَّماحة. وحسبك أن تعلم هنا: أن إنظار المعسر
والتجاوز عنه من مكفرات الذنوب، وسبب في تجاوز الله عن
السيئات.

قال ﷺ: «كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسراً قال

(١) أخرجه البخاري: (٤٨٢/٤، ٤٨٣، ٥٦/٥، ٥٨، ٢٢٦، ٢٢٧)
الفتح)، ومسلم: (٣٨/١١ نووي).

لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه»^(١).

ومن حسن الاقتضاء: التسامح في التقاضي، وقبول ما فيه من نقص يسير، وطلبه بسهولة، وعدم إلحاف، وترك التضييق على الناس، وأخذ العفو منهم لعل الله يرحمنا.

قال ﷺ: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»^(٢).

٣ - السَّماحة بالعلم:

وذلك ببذل العلم، وهو من أفضل أبواب السَّماحة، وخير من السَّماحة بالمال، لأن العلم أشرف من المال.

فينبغي على العالم أن يبذل العلم لمن يسأله عنه بل يطرحه عليه طرحاً، وإذا سأله عن مسألة استقصى له جوابها استقصاءً شافياً، وأوعب في ذكر أدلتها فلا يقتصر على مسألة

(١) أخرجه البخاري: (٤/٣٠٩ الفتح).

(٢) أخرجه البخاري: (٤/٢٠٦ الفتح).

السائل بل يذكر له نظائرها ومتعلقها ومأخذها بحيث يشفيه ويكفيه ويرويه .

وقد سأل الصحابة الكرام رضي الله عنهم النبي ﷺ عن المتوضئ بماء البحر، فقال ﷺ: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» (١) فأجابهم على سؤالهم، وجاد عليهم بزيادة لعلمهم في بعض الأحيان أحوج إليها مما سألوه عنه .

٤ - السَّماحة بالعرض :

وفي هذه السَّماحة من سلامة الصدر وراحة القلب، والتخلص من معادة الناس ما فيها .

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينفق على مسطح ابن أثثة لقربته منه وفقره، وعندما هلك مسطح فيمن هلك من أصحاب الإفك فخاض مع الخائضين الذين اتهموا السيدة عائشة رضي الله عنها بالفاحشة أقسم أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق عليه، فعوتب الصديق فتصدق بعرضه على الرغم من

(١) صحيح أخرجه أصحاب السنن ومالك، وانظر تخريجه مفصلاً في «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: (٤٨٠) .

عظم ذنب مسطح ، والله در القائل :

فإن قدر الذنب من مسطح يحط قدر النجم من أفقه
وقد جرى منه الذي قد جرى وعوتب الصديق في حقه
ودع أيها القارئ أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله
عنها تخبرنا بجلية الأمر قالت : « . . . فما أنزل الله في براءتي
قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن
أثاة لقرابته منه وفقره : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد
الذي قال لعائشة ما قال . فأنزل الله : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ
مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور : ٢٢] .

قال أبو بكر : « بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي . فرجع
إلى النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال والله لا أنزعها منه
أبداً »^(١) .

٥ - السَّماحة بالاحتمال :

وهي من أنفع أبواب السَّماحة ، ولا يقدر عليها إلا النفوس

(١) أخرجه البخاري : (٨/٤٥٥ الفتح) ، ومسلم : (١٧/١١٣ نووي) .

الكبار، فمن صعب عليه السماحة في المال فعليه بهذا الكرم
والسخاء، فإنه يجتني ثمرة عواقبه الحميدة في الدنيا قبل
الآخرة.

قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. أي
جانبهم لئِنْ هَيَّئَ عَلَى إِخْوَانِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ يَرِدِ الْهُوانُ، وقال
جل جلاله: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
[الشعراء: ٢١٥]. أي كن ليناً لأنك: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ
الْقَلْبِ لَإِنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

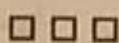
قال النبي ﷺ: «المؤمنون هَيِّنُونَ لِيُنُونَ مِثْلَ الْجَمَلِ
الْأَنْفِ، الَّذِي إِنْ قِيدَ انْقَادَ، وَإِنْ سِيقَ انْسَاقَ، وَإِنْ أُنْخِطَ عَلَى
صَخْرَةٍ اسْتَنَاحَ»^(١).

شبه النبي ﷺ المؤمن بالجمال الأنف أي الذلول الذي لا
يُمْتَنَعُ عَنْ قَائِدِهِ فِي شَيْءٍ لِلْوَجْعِ الَّذِي بِهِ فَهُوَ يَحْتَمِلُ لَيْسَ
جَهْلًا وَبِلَادَةً وَلَكِنَّهُ كَرَمٌ وَحَسَنُ خَلْقٍ وَسَخَاءٌ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ غَرُّ
كَرِيمٍ وَالْفَاجِرُ خَبٌّ لَثِيمٌ.

(١) انظر «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: (٩٣٦).

وقد كان النبي ﷺ كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد عن أنس رضي الله عنه، قال: «إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد النبي ﷺ فتنتقل به حيث شاءت»^(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والمقصود من الأخذ باليد لازمه وهو الرفق والانقياد... والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحاجة لمساعد على ذلك، وهذا دال على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر ﷺ»^(٢).



(١) أخرجه البخاري: (٤٨٩/١٠) تعليقاً ووصله أحمد: (٩٨/٣). وله طريق آخر عن أنس بنحوه أخرجه ابن ماجه: (٤١٧٧) وأحمد: (١٧٤/٣، ٢١٥، ٢١٦) وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف لكنه يستشهد به.

(٢) فتح الباري: (٤٩٠/١٠).

فضائل السَّماحة

١ - السَّماحة من مُكفِّرات السيِّئات :

قال ﷺ: «تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم، فقالوا: أعملت من خير شيئاً؟ قال: كنت أمر فتياي أن ينظروا المعسر ويتجاوزوا الموسر، قال الله سبحانه وتعالى: «فتجاوزوا عنه»^(١).

وقال ﷺ: «حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير إلا أنه كان رجلاً موسراً وكان يخالط الناس وكان يأمر غلمانَه أن يتجاوزوا عن المعسر. فقال الله عز وجل لملائكته: «نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه»^(٢).

وقال ﷺ: «إن رجلاً ممن كان قبلكم أتاه ملك الموت

(١) أخرجه البخاري: (٣٠٧/٤) الفتح.

(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته: (٣١٥٤).

ليقبض نفسه ، فقال له : هل عملت من خير ؟ قال : ما أعلم ، قال له : انظر ، قال : ما أعلم شيئاً غير أنني كنت أبايع الناس وأحارفهم فانظر المعسر وأتجاوز عن الموسر فأدخله الله الجنة»^(١).

٢ - السَّماحة سبب للرحمة :

قال ﷺ : «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»^(٢).

٣ - السَّماحة منجاة من كُرب يوم القيامة :

قال ﷺ : «من أنظر معسراً أو وضع له أنجاه الله من كُرب يوم القيامة»^(٣).

وقال ﷺ : «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله»^(٤).

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (٢٠٧٥).

(٢) المصدر السابق : (٣٤٨٩).

(٣) مسلم : (١٥٦٣).

(٤) مسلم : (٣٠٠٦) ضمن حديث جابر الطويل.

٤ - السَّامَاةُ تُحَرِّمُ صَاحِبَهَا عَلَى النَّارِ:

قال ﷺ: «مَنْ كَانَ سَهْلًا هَيِّنًا لَيْنًا حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»^(١).

وقال ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ تَحْرِمُ عَلَيْهِ النَّارُ غَدًا عَلَى كُلِّ لَيْنٍ قَرِيبٍ سَهْلٍ»^(٢).



(١) صحيح الجامع الصغير: (٦٣٦٠).

(٢) صحيح الجامع الصغير: (٢٦٠٦).

٥ أمور تعين على السَّماحة

١ - كظم الغيظ :

اعلم أخا الإسلام أن السَّماحة طيب في النفس ، وانشراح في الصدر لا عن كظم ، وضيق ومصابرة ، وهي دليل على صلاح القلب ، والسَّر والباطن .

بيد أن السَّماحة لا تنال إلا على جسر من الكظم والمصابرة ، فإذا تمكن العبد من المرور على متنه أفضى إلى أبواب السَّماحة بعون الله وتوفيقه .

قال تعالى في معرض مدح المؤمنين : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] . وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى : ٣٧] .

قال ﷺ : « من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله

على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور العين يزوجه
منها ما شاء»^(١).

٢ - العفو والصفح :

متى شهدت أيها العبد السمع فضل ذلك وذقت حلاوته
وعزته، فإنك لن تعدل عنه. واعلم أيديك الله بروح منه أنه لن
يعدل عن ذلك إلا من طَمَسَ الله على قلبه، وأغشى بصره
وبصيرته. وكيف تعدل عن مدارج العز إلى درك الذل - أعاذنا
الله وإياك منه؟!

ولقد علم عقلاء البشر بالتجربة والمشاهدة والوجود أن
العبد إذا انتقم لنفسه ذل وزل، وفي الصفح والعفو من الحلاوة
والطمأنينة والسكينة وشرف النفس وعزها ورفعته عن تشفيها
بالانتقام ما ليس شيء منه في المقابلة والانتقام.

قال ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفوٍ
إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه»^(٢).

(١) صحيح الجامع الصغير: (٦٣٩٤ و ٦٣٩٨).

(٢) أخرجه مسلم: (٢٥٨٨) وغيره.

٣ - رجاء ما عند الله وحسن الظن به :

الرجاء ضروري للمسلم السالك فإنه دائر بين ذنب يرجو غفرانه، وعيب يرجو إصلاحه، وعمل صالح يرجو قبوله، واستقامة يرجو حصولها ودوامها، وقرب من الله ومنزلة عنده يرجو وصوله إليها.

ومن كان يرجو ما عند الله وضع عن عباد الله وتجاوز عنهم، لأن الله لن يضيع أجر المحسنين.

قال ﷺ: «إن رجلاً لم يعمل خيراً قط وكان يداين الناس فيقول لرسوله خذ ما تيسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا، فلما هلك قال الله: هل عملت خيراً قط؟ قال لا إلا إنه كان لي غلامٌ وكنت أداين الناس فإذا بعثته يتقاضى قلت له: خذ ما تيسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله إن يتجاوز عنا قال الله قد تجاوزت عنك»^(١).

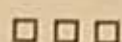
ولله در ابن القيم الذي أنشد قائلاً: ^(٢)

(١) صحيح الجامع الصغير: (٢٠٧٤).

(٢) مدارج السالكين: (٤٢/٢).

لولا التعلق بالرجاء تقطعت نفس المحب تحسراً وتمزقاً
وكذلك لولا برده بحرارة الـ أكباد ذابت بالحجاب تحرقاً
أ يكون قط حليف حف لا يرى برجائه لحبيبه متعلقاً
أم كلما قويت محبته له قوي الرجاء فزاد فيه تشوقاً
لولا الرجاء يحدو المطي لما سرت بحمولها لديارهم ترجو اللقاء

ومن كان يرجو لقاء ربه فإنه ينسى إحسانه إلى من أحسن
إليه حتى كأنه لم يصدر منه وفي هذا المقام قيل :
ينسى صنائعه والله يظهرها إن الجميل إذا أضيعته ظهرا



أمثلة من سماحة النبي ﷺ

٦

اعلم أيها المسلم أن من أراد فهم السماحة كما ينبغي
فليُنظر إلى سيرة النبي ﷺ مع الناس يجدها هي بعينها.

لقد كان المصطفى ﷺ غاية في اللين، فكان إذا ذكر
أصحابه الدنيا ذكرها معهم، وإذا ذكروا الآخرة ذكرها معهم،
وإذا كان في بيته كان في صنعة أهله، فكان كما قال تعالى:
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ
عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومن ثم لم يكن كمال هذه الدرجة لأحد سواه ﷺ، ثم
للورثة منها بحسب سهامهم في التركة.

١ - سماحته ﷺ إذا قضى:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً تقاضى
رسول الله ﷺ فأغلظ له فهِمَّ به أصحابه فقال: «دعوه فإن

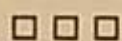
لصاحب الحق مقالاً واشتروا له بعيراً فأعطوه إياه» .

قالوا: لا نجد إلا أفضل من سنه . قال: «اشتروا فأعطوه إياه فإن خيركم أحسنكم قضاء»^(١) .

٢ - سماحته ﷺ في البيع والشراء:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي ﷺ اشترى منه بعيراً فوزن له فأرجح^(٢) .

عن أبي صفوان سويد بن قيس رضي الله عنه قال: جلبت أنا ومخرمة العبدي بزاً من هجر فجاءنا النبي ﷺ فساومنا بسرأويل وعندي وزان يزن بالأجر فقال النبي ﷺ للوازن: «زن وأرجح»^(٣) .



(١) مضي برقم: (١) ص ٢٠ .

(٢) البخاري: (٢٦٩/٤)، ومسلم: (١٢٢٣/٣) .

(٣) أخرجه أبو داود: (٣٣٣٦)، والترمذي: (١٣٠٥)، وابن ماجه:

(٢٢٢٠) وغيرهم وصححه شيخنا في صحيح الجامع (٣٥٦٨) .

عن عطاء بن فروح أن عثمان اشترى من رجل أرضاً فأبطأ عليه فلقيه، فقال له: ما يمنعك من قبض مالك؟ قال: إنك غبتني فما ألقى أحداً من الناس إلا وهو يلومني. قال: وذلك يمنعك؟ قال: نعم، قال: فاختر من بين أرضك ومالك، ثم قال: قال النبي ﷺ: «أدخل الله الجنة رجلاً كان سهلاً مشترياً وبائعاً ومقتضياً وقاضياً»^(١).

عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه: أنه كان يطلب رجلاً بحق فاخْتَبَأَ منه فقال: ما حملك على ذلك؟ قال: العسرة فاستحلفه على ذلك فحلف فدعا بصكه فأعطاه إياه وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من انظر معسراً أو وضع له أنجاه الله من كرب يوم القيامة»^(٢).

(١) أخرجه البغوي: (٣٦/٨) بإسناد فيه ضعف.

(٢) أخرجه مسلم: (١٥٦٣) وغيره.

كان قيس بن سعد بن عبادة من الأجواد المعروفين حتى أنه مرض مرة فاستبطأ إخوانه في العيادة، فسأل عنهم، فقالوا: إنهم كانوا يستحيون مما لك عليهم من الدين، فقال: أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر منادياً ينادي من كان لقيس عليه مال فهو منه في حل، فما أمس حتى كسرت عتبة بابه لكثرة من عاده (١).

قال ابن القيم رحمه الله يصف شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وما رأيت أحداً أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه. وما رأيته يوماً يدعو على أحد منهم قط وكان يدعو لهم».

وجئت يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه وأشدّهم عداوة وأذى له فنهرني وتنكر لي واسترجع ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزّاهم، وقال: إني لكم مكانه ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه ونحو هذا من

(١) انظر «مدارج السالكين» (٢/٢٩٢).

الكلام فسروا به ودعوا له وعظموا هذه الحال فرحمه الله
ورضي عنه^(١).

□ □ □

(١) مدارج السالكين : (٢/ ٣٤٥)، وانظر إن شئت كتابي «ابن تيمية المفترى عليه» فصل «ابن تيمية ومكارم الأخلاق».

أُمُور لَا بَدَّ مِنْ إِدْرَاكِهَا

قد يخلط بعض الناس في مفهوم السَّماحة فيظن أن بعض الأمور تنافي السَّماحة وهي من لبابها ومفتاح بابها من ذلك :

١ - الغضب عندما تنتهك حرَمات الله :

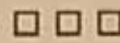
قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [الشورى : ٣٧ - ٣٩] .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما خَيْرَ رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله^(١) .

(١) أخرجه البخاري : (٤١٩/٦ و ٤٢٠) ، ومسلم : (٢٣٢٧) .

٢ - طلب الحق :

جاء رجل يطلب حقه من رسول الله ﷺ فأغلظ فهم به أصحاب النبي ﷺ لكن الرسول ﷺ قال : «دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً»^(١).



(١) مضي برقم : (١) ص ٢٠.

١ - الخلط بين الولاء والتسامح :

قال الأستاذ الداعية سيد قطب رحمه الله :

«إن سماحة الإسلام مع أهل الكتاب شيء واتخاذهم أولياء شيء آخر ولكنهما قد يختلطان على بعض المسلمين الذين لم تتضح في نفوسهم الرؤية الكاملة لحقيقة هذا الدين ووظيفته، بوصفه حركة منهجية واقعية، تتجه إلى إنشاء واقع في الأرض، وفق التصور الإسلامي الذي يختلف في طبيعته على سائر التصورات التي تعرفها البشرية، وتصطدم - من ثم - بالتصورات والأوضاع المخالفة، كما تصطدم بشهوات الناس وانحرافهم وفسوقهم عن منهج الله وتدخل في معركة لا حيلة فيها، ولا بُدَّ منها لإنشاء ذلك الواقع الجديد الذي تريده، وتتحرك إليه حركة إيجابية فاعلة منسئة.

وهؤلاء الذين تختلط عليهم الحقيقة ينقصهم الحس النقي

بحقيقة العقيدة، كما ينقصهم الوعي الذكي لطبيعة المعركة وطبيعة موقف أهل الكتاب فيها، ويغفلون عن التوجيهات القرآنية الواضحة الصريحة فيها، فيخلطون بين دعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبر بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه مكفولي الحقوق، وبين الولاء الذي لا يكون إلا لله ورسوله وللجماعة المسلمة، ناسين ما يقرره القرآن من أن أهل الكتاب بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة، وأن هذا شأن ثابت لهم وأنهم ينقمون من المسلم إسلامه، وأنهم لن يرضوا عن المسلم إلا أن يترك دينه ويتبع دينهم وأنهم مصرون على الحرب للإسلام وللجماعة المسلمة، وأنهم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر، إلى آخر هذه التقارير الحاسمة.

إن المسلم مطالب بالسماحة مع أهل الكتاب ولكنه منهي عن الولاء لهم بمعنى التناصر والتحالف معهم، وأن طريقه لتمكين دينه وتحقيق نظامه المتفرد لا يمكن أن يلتقي مع طريق أهل الكتاب، ومهما أبدى لهم من السماحة والمودة فإن هذا لن يبلغ أن يرضوا له بالبقاء على دينه وتحقيق نظامه، ولن

يكفهم عن موالاة بعضهم لبعض في حربه والكيد له .

وسداجة أية سداجة وغفلة أية غفلة أن نظن أن لنا وإياهم
طريقاً واحداً نسلكه للتمكين للدين أمام الكفار والملحدين إذا
كانت المعركة مع المسلمين . . . » (١) أ . هـ .



(١) في ظلال القرآن: سيد قطب، (٢/٧٥٩ - ٧٦٠) .

فهرس

الموضوع	الصفحة
من مشكاة النبوة	٥
المقدمة	٧
١ - ماهي السماحة؟	١١
٢ - منزلة السماحة في الإسلام	١٣
٣ - أبواب السماحة	١٨
٤ - فضائل السماحة	٢٦
٥ - أمور تعين على السماحة	٢٩
٦ - أمثلة من سماحة النبي ﷺ	٣٣
٧ - متسامحون	٣٥
٨ - أمور لا بد من إدراكها	٣٨
٩ - أمور لا بد من الحذر منها	٤٠